Albaydha
Albaydha.sa

لعبة الحياة
أم حياة اللعب!

للدكتورة: جوزاء بنت مساعد السعدون

أستاذ العقيدة والمذاهب المعاصرة المساعد بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية.

إنه مهما بلغت العبارة من الفصـــاحة والبيان، والجزالة والإتقان فلا يمكن أن تفي بالغرض كما وفى وكفى القرآن.

فلا يمكن لأي مصدر كائنًا ما كان هو وقائله أن يأتي بما فيه نفع الإنسان في الحال والمآل كما وفى بذلك القرآن: ﴿أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَرَحْمَةً وَذِكْرَىٰ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [العنكبوت: ٥١].

قال الله ﷻ: ﴿ تَبَٰرَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ۝١ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفُورُ ۝٢ ﴾ [الملك: ١-٢].

فأي بيان كهذا البيان المعجز؟! الذي يختصـــر الحياة بذكر مبدَئها وغاية مبدِئها - سبحانه- منها، والمصير في لفظ موجز وأسلوب معجز!

هـذه هي الحياة، أوجدها الله ﷻ، لغاية عظيمة: وهي إفراده بالعبادة مع اســـتنان هدي خاتم أنبيائه ورســـله عليهم الســـلام، وهو تبارك وتعالى من يفنيها؛ إذ لا شيء خلقه إلا ومصيره الفناء ﴿ كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴾ [الرحمن: ٢٦]، ﴿كُلُّ شَىْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ﴾ [القصص: ٨٨]، وقد أوضـح الطريق الصـحيح لسـلوكها، وأباح من لذائذها وطيباتها وزينتها ما يهيئ للعيش فيها، ويعين على امتثال الطاعة وأدائها؛ لعمارة الآخرة من خلالها؛ فهي المعبر إلى الآخرة بعد أن يفني الله الدنيا وما فيها، ويدعو الخلق إلى اليوم الآخر...

وقد وصـــفها الله وصـــف من يعلمها ﷻ، بأنها فتنة، ومتاع الغرور، وبيَّن النافع فيها في آيات كثيرة، **فقال عز من قائل:** ﴿ٱلْمَالُ وَٱلْبَنُونَ زِينَةُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَٱلْبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا﴾ [الكهف: ٤٦]، فالباقيات الصـــالحات من القول والعمل هو الباقي للناس بعد فناء الحياة الدنيا، خيرٌ ثوابًا من المال والبنين

التي يفتخرون بها، التي تفنى، فلا تبقى لأهلها،...﴿وَخَيْرٌ مَّرَدًّا﴾ [مريم: ٧٦]. في الآخرة مما افتخر به الكفار في الدنيا، وخير ردًا على عاملها بالثواب، أي أنفع له، وخير مردًا أي مرجعًا فكل أحد يرد إلى عمله الذي عمله...

فإن كان هذا وصف الخالق لما خلق، فمن أين لغيره -ﷻ- أن يأتي بحياة كاملة لا يشوبها كدر ولا يتطرق لها نقص، ويكون هذا بواسطة أفكاره ومحض هواه؟!

فكثير منا يسعى لتحسين جودة حياته، في شتى المناحي، ويحاول تجنب المشكلات أو على أقصى تقدير إيجاد الحلول لمشكلاته، لكن ليس الكثيرين الذين يحسنون التعامل مع هذه المشكلات أو أيًا مما يعترض حياتهم؛ لذلك يبرز على الساحة من يتصيد هؤلاء ليلفتهم عما فيه نفعهم، بكتب ورسائل مشبوهة تقدم الحلول -إن قدمتها- بصورة مشوهة، متطفلةً على الدين، ومعكرة للمنبع الصافي، ومقدمة لنتائجها بصورة أبعد ما تكون عن الخير والنفع.

وتوهمهم بالسعادة وحياة ملؤها النشاط والحيوية لا يعكر صفوها شيء!

ومن هذه النماذج -الشوهاء-: كتاب (كيف تتقن لعبة الحياة لسمية الناصر)، بدءًا من تسميتها الحياة لعبة تتقلب بيد كل من يعيش فيها، وبالتالي يمكنه التحكم فيها وتشكيلها وفق ما يريد، وانتهاء إلى الاستخفاف بجناب الرب -جل جلال ربنا وتقدس وتعالى عما يصفون-، والمطية البائسة في ذلك كله: هي التحريف وفق الهوى وتطويعًا للفلسفات والخرافات الوثنية (مثل الوعي، والطاقة...الخ)...

فقد اعتمد الكتاب على ســـرد لمشـــاكل مفتعلة أو واقعية، وتقديم الحلول (العبثية) لها، دون مراعاةٍ لحال السائل، أو الوصف الواقعي للمشكلة... وفوق ذلك عدم مراعاةٍ لمعاني النصـــوص، بل وعدم مبالاة بالثوابت والأصـــول في الدين، مع محاولة لتســـطيحها وإضـــفاء معانٍ جديدة عليها؛ لتواكب الســـؤال وطبيعة الكتاب!

وغير ما في الكتاب من لغة ركيكة، أو مشـــاكل مفتعلة؛ فإن فيه انحرافات عقدية كثيرة وخطيرة، طالت أصـــول الإيمان، كالإيمان بربوبية الله وألوهيته، والإيمان بالرســـل، والكتب، واليوم الآخر، والإيمان بالقدر، والولاء والبراء، كل هذه الانحرافات وغيرها جاءت بلباس جميل في الظاهر وهو لباس التطوير والتغيير، وحل المشكلات، وفي باطنه الانحراف!

وشواهد ذلك من الكتاب كثيرة جدًا، منها -على سبيل الذكر لا الحصر-:

- في تقرير الكتاب لفلسفة (الجذب) وما فيه من مصادمة سافرة لأصل الإيمان بالقدر، تأتي النصـــيحة التالية: "مشـــاعرك الجيدة تجلب لك الأحداث الجيدة، لكن في لحظةٍ ما أنت تحتاج إلى وعي عالٍ مع هذه المشـــاعر؛ قم بعمل تأمل كل يوم بهدف رفع وعيك"[1]. "المشـــكلة: لدي قدرة على جذب الأحداث السيئة، رسالتك: أنت متورط في مشاعر سلبية"[2].

والجذب خرافة بوذية وثنية، كما قد جاء عن بوذا أنه قال: (الشـــبيه يجذب إليه شبيهه)، وتطبيقات الجذب في بعض دورات تطوير الذات أخرجت أناسًا يؤلهون ذواتهم تحت ستار: حسن الظن بالله! -عياذًا بالله-.

[1] كيف تتقن لعبة الحياة لسمية الناصر ص ٣٢٥.

[2] المرجع السابق ص ٨. ١.

فكيف يحسن الظن بالله من يقول بالجذب الذي يرى أن مشيئة الإنسان فوق مشيئة الله؟ وكيف يحسن الظن بالله من يلغي حكمة الله ﷻ في التقدير ويجعل القدر خاضعًا لإرادة الإنسان! جل ربنا وتعالى عن هذا الافتراء والبهتان.

- وفي ذات موضوع القَدر والانحراف فيه بتغيير معناه، وإحلال معانٍ ومضامين فلسفية بديلة عن المعنى الحق، تأتي الإجابات على بعض المشكلات، من ذلك: "المشكلة: أنا عالق مع شخص أحبه ولا يحبني، رسالتك: أنت لديك استحقاق منخفض"[1]. "المشكلة: أفكر تفكيرًا إيجابيًا وواقعي سلبي، من الحلول: الواقع لا يكذب ولا يغش، عقلنا اللاواعي لا يغش، عقلنا الواعي يغشنا طول الوقت، لذا اعترف بالأفكار السلبية التي تمر عليك"[2].

وفي هذا تعظيم لشأن العقل اللاواعي (أي الباطن) وفي كلٍ عدم ذكر لبذل الأسباب النافعة للإنسان، إنما مجرد لفت نظره وكامل همه إلى التفكير؛ ففكره الذي يغيّر حاله ويصنع قدره، وهذا مصادم لأصل الإيمان بالقدر ومنازعة لله في أفعاله؛ فالذي يقدّر الأمور ويجريها ويُنفذها إلى وجهتها هو الله ﷻ وحده لا شريك له، **كما قال:** ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾ [القمر: ٤٩]، **وقوله:** ﴿إِنَّ ٱللَّهَ بَٰلِغُ أَمْرِهِۦ ۚ قَدْ جَعَلَ ٱللَّهُ لِكُلِّ شَىْءٍ قَدْرًا﴾ [الطلاق: ٣]، فكتابة القدر وإنفاذه من خصائص الله تعالى.

- في مشكلة الخوف من الموت وكيف يتم حولها، جاء في الكتاب: "أنا أخاف من الموت. رسالتك: أنت تعتقد معتقدات غير صحيحة عما بعد الموت، من الحلول: اكتب معتقداتك عن الموت وناقشها مع شخص لا يخاف الموت"[3].

---

[1] كيف تتقن لعبة الحياة لسمية الناصر صـ ١٥.

[2] المرجع السابق صـ ٩١.

[3] المرجع السابق صـ ٢٥.

هذا اســتنكار منها لكل ما يثير الخوف بعد الموت، ويدخل في ذلك كل وعيد، ومن عذاب القبر إلى جهنم... وهذا ما يسـلكه أصحاب الروحانية الحديثة: وهو التنفير من الخوف، والخوف من الله عمل قلبي جليل، وعبادة لله عظيمة بل من أركان العبادة التي لا تصــح إلا بها ومعها الحب والرجاء، فلا بد للعبد أن يخاف ربه، ويخاف الموت وما بعده حتى يحسّــن العمل ويســتعد به للقاء الله، كما أثنى الله تعالى على المتصــفين بها في **قوله:** ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا۟ يُسَـٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ۖ وَكَانُوا۟ لَنَا خَـٰشِعِينَ﴾ [الأنبياء: ٩٠]، وأما الذي لا يخاف الله ولا من الموت فإنه ســيفعل كل ما يحلو له دون رادعٍ وعاقبة ذلك هي الخســران في الآخرة ﴿أَفَأَمِنُوا۟ مَكْرَ ٱللَّهِ ۚ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْخَـٰسِرُونَ﴾ [الأعراف: ٩٩]، وهذه عادة أصحاب الروحانية الحديثة التنفير من كل ما فيه عقاب أو حتى مجرد تأنيب النفس ولومها على فعل الخطأ، وبث ما يســمونه (الســلام) والاكتفاء بالحب، كما عليه الصوفية.

- تصرح بأن الشخص يبقى روحانيًا بلا دين، تحت عنوان (أنا أرغب بتغيير ديني)، **تقول:** "رسالتك: أنت تبحث عن روحك، قم بعمل تأمل كل يوم بهدف الاتصال بروحك، ادخل في عزلة وصمت تام لمدة تسعة أيام، فارق أي جماعة دينية تدعوك لأي دين، أنت تحتاج أن تفكر بنفسك بدون أي ضغط خارجي"[1].

ولم تعلم هي ومثيلاتها -أو تجاهلت- أن الغاية من التأمل: هو الوصــول إلى أعماق الذات، وأن يصبح الإنسان هو الوعي ذاته، يعني: إدراك تجربة الألوهية في الإنسان -نعوذ بالله من هذا البهتان وتعالى الله وتقدس-...

[1] كيف تتقن لعبة الحياة لسمية الناصر ص ٢٧٧.

فقولها: فارِق أي جماعة دينية تدعوك لأي دين -ومنه الإسلام- مصادم **لقول الله تعالى:** ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلۡإِسۡلَٰمُۗ﴾ [آل عمران: ١٩]، **وقوله تعالى:** ﴿وَمَن يَبۡتَغِ غَيۡرَ ٱلۡإِسۡلَٰمِ دِينٗا فَلَن يُقۡبَلَ مِنۡهُ وَهُوَ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ﴾ [آل عمران: ٨٥]... فالإسلام هو الدين الحق وما سواه باطل، ولا يمكن أن يدخل في مقارنة أو مفاضلة!

- "المشكلة: أنا لا أعرف من هو ربي! رسالتك: أنت تفتقر للمصادر الطاقية الصحيحة. الحلول: *قم بعمل تأمل كل يوم بهدف معرفة مصادرك الطاقة، *ادخل في عزلة وصمت لمدة تسعة أيام متتالية، *اكتب أسماء الأشخاص الذين قاموا بتشتيتك عن معرفة ربك، ثم اكتب شعورك تجاههم..."[1]...

وهكذا التوالي في الإجابات في بعدٍ تام عما هو سبب لشقاء الإنسان في حياته، وما هو باعث للنقص والنكد عليه، وهو الإعراض عن الله تعالى وعن كتابه المصدر الحق في معرفة الطريق الحق ﴿وَمَنۡ أَعۡرَضَ عَن ذِكۡرِي فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةٗ ضَنكٗا وَنَحۡشُرُهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ أَعۡمَىٰ﴾ [طه: ١٢٤]... واستبدال ذلك بخرافات العقول!

- في مشكلة وردت **جاء في الكتاب:** "أنا غاضب من الإله. رسالتك: أنت غاضب من نفسك"[2]. وهذه من أجرأ الإجابات في الحقيقة؛ إذ تعني الإجابة: أن الألوهية كامنة فيك، فلماذا تغضب؟! وهذا ما يردده أصحاب الروحانية الحديثة في مزاعمهم حول الألوهية الكامنة في الإنسان، وأن في الإنسان جزءًا من الإله... -تعالى الله عما يقولون علوًا كبيرًا-.

- "المشكلة: أنا غاضب من الإله، رسالتك: أنت غاضب من نفسك، من

[1] كيف تتقن لعبة الحياة لسمية الناصر ص٢٨١.

[2] المرجع السابق ص٣٨٢.

الحلول: أنت تبحث عن كبش فداء لتفريغ غضبك، حان الوقت لتعرف أنك غاضب من نفسك"... وهذه النهاية الأجرأ التي يصل إليها أصحاب الروحانية الحديثة من هذا التسلسل البائس في اكتشاف النفس (الذات) وأنها في الحقيقة جزءًا من الإله، بل هي الإله ذاته -تعالى الله عما يقول المفترون علوًا كبيرًا-.

.... وغير ذلك من شواهد في هذا الكتاب من الانحرافات العقدية الخطيرة التي راجت على كثير من المسلمين تحت ستار التغيير والتطوير، وبذلك تمر على جهلة الناس دون نكير!

فالحياة شأنها عظيم؛ عمل وسعي، وتعقبها حياة أخرى فيها الجزاء والحساب على ما قدمه الإنسان في الحياة الأولى، وليس شأنها هينًا وبسيطًا لدرجة تجعلها كاللعبة في أيدي اللاعبين، ووفق ميولهم ورغباتهم ومشاعرهم يديرونها ويلعبونها! ....

فقد **قال الله فيها:** ﴿ٱلْمَالُ وَٱلْبَنُونَ زِينَةُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَٱلْبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا﴾ [الكهف: ٤٦]، فالباقيات الصالحات من القول والعمل خيرٌ أملاً، يؤمل أجرها وبرها ونفعها عند الحاجة، وليس الأمل بخرافات الوثنيين ومقلديهم، ممن أفكارهم خواء، وباطل زبد يذهب جفاء...

نسأل الله تعالى أن يهدينا الصراط المستقيم، ويجنبنا الفتن وسبيل الشيطان الرجيم، آمين.

*هذا المقال يعبر عن وجهة نظر الكاتب ولا يمثل - بالضرورة - رأي الناشر.